مجلة: سوسيولوجيا- الجزائر | ردمد: issn: 2602-5647
تاريخ استلام المقال: ٢٠١٩/٠٤/٢٧ | تاريخ قبول النشر: ٢٠١٩/٠٥/١٥

التضامن الاجتماعي داخل الأحياء الحضرية

(دراسة ميدانية)

Social solidarity within urban neighborhoods

د/نورية سوالمية
جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر
n.soualmia@univ-mascara.dz

د/ الطاهر غراز
جامعة جيجل
gherraz2015jijel@gmail.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الميدانية إلى التطرق لأشكال التضامن الاجتماعي ومناسباته لدى سكان الأحياء الحضرية، والوقوف على أهم المناسبات التضامنية بين الأسر والأفراد. وهذا بالاعتماد على تقنيتي الملاحظة والمقابلة نصف الموجهة مع عينة من الأسر تختلف وضعياتهم وخصائصهم السوسيوثقافية.

أسفرت هذه الدراسة على نتائج هامة تؤكد استمرارية التضامن والتعاون بين الجيران، وخاصة في الأوقات العصيبة والملحة. ويظهر هذا التضامن بشدة في الجنائز خاصة.

الكلمات المفتاحية : التضامن الاجتماعي ؛ التنشئة الاجتماعية ؛ المجتمع المحلي ؛ الانتماء ؛ الاندماج الحضري.

Abstract:

The aim of this study is to address the forms of social solidarity and its suitability among urban dwellers and to identify the most important solidarity events between families and individuals. This is based on half-directed observation and interview techniques with a sample of households with different socioeconomic characteristics.

This study resulted in important results that confirm the continuity of solidarity and cooperation among neighbors, especially in difficult and urgent times. This solidarity is particularly evident in funerals.

Keywords: Social solidarity; Socialization; Community; Belonging; Urban integration.

المقدمة:

إنّ المدينة فضاء مركب، فهي ليست مجرد تجمع كمي فقط، بل تعد كما يسميها الأنثروبولوجيون بالكثافة الاجتماعية (Densité sociale)، والتي تفرض على السكان العيش لا جنبا إلى جنب فحسب، بل لا بد من أن ينشأ التعاون والتضامن بين الجيران داخل الأحياء السكنية.

وفي السياق نفسه يعد التضامن الاجتماعي مظهرا من مظاهر التفاعل الاجتماعي ونمط من أنماط السلوك، وهو ظاهرة اجتماعية تعكس التأثير المتبادل للأفراد في أداء عمل معين، فهو عملية تآزر أو اعتماد متبادل يؤدي إلى التماسك الاجتماعي. كما يعتبر التضامن التزاما تلقائيا يعمل على حمل مشاعر الأخوة بين الأفراد، والمتمثل في المساعدة والمساندة والتكافل والتراحم، فهو نوع من التعاطف مع الآخرين، وتقديم المساعدة المعنوية أو المادية أو كليهما بطواعية دون إلزام. فضلا على أنه ذلك الطابع الروحي الذي يقوم بين الأفراد والذي يظهر ونلمسه من خلال مناسبات خاصة، فيربطهم شعور روحي موحد ويجمعهم هدف محدد.

إن مفهوم التضامن يستمد قوته من التنشئة الاجتماعية التي تتم داخل الأسرة أو خارجها، كما يعززه أكثر شعور الأفراد بالانتماء إلى المجتمع المحلي، فالاعتزاز والفخر بالانتماء إلى مجتمع أو جماعة معينة يعزز الروابط الاجتماعية. ويبرز مفهوم الانتماء من خلال مفهوم "حومتي"، هذا المفهوم يمثل إحدى أهم خصائص التنظيم الاجتماعي، وتكمن أهمية الحومة في كونها نواة الاندماج الحضري.

من هذا المنطلق تحاول هذه الدراسة الميدانية الوقوف على أشكال التضامن الاجتماعي ومناسباته لدى السكان، فكيف يتضامن السكان مع بعضهم البعض في الجنائز خاصة؟ وما هي أشكال التضامن في المناسبات والأعياد الدينية؟

للإجابة عن التساؤلات المطروحة تم الاعتماد على تقنيتي الملاحظة والمقابلة نصف الموجهة مع عينة من الأسر تختلف وضعياتهم وخصائصهم السوسيوثقافية، كما يبين الجدول رقم ٠١ (أنظر الهوامش).

أولا: مفهوم التضامن الاجتماعي

يعد التضامن الاجتماعي مظهرا من مظاهر التفاعل الاجتماعي ونمط من أنماط السلوك، وهو ظاهرة اجتماعية تعكس التأثير المتبادل للأفراد في أداء عمل معين، وعليه يشرح "التضامن في حقل الألفة الاجتماعية (La sociabilité)" (**COURNIL N., 2001 : 369**) ، ويعتبر اميل دوركايم E. Durkheim التضامن أساس المجتمع، فلن يوجد مجتمع من دون أن تتماسك أجزاءه وتلتحم، ولا تقوم للوجود الاجتماعي قائمة دون أن يسبقه أي شكل من أشكال التضامن بين الأفراد، "فالأفراد ينظمون نشاطهم وسلوكهم وقيامهم بأدوارهم طبقا لقواعد مرسومة حسب قيم معينة متعارف بها، فهم يستطيعون التواصل أو توقع أحداث بشكل يمكنهم من العيش في نظام واتساق مع سلوك وتوقعات الآخرين (...)، بهذا المعنى يتضمن وجود نوع من التماسك إلى الحد الذي يمكن معه تجنب التناقض أو الصراع" (**زايد مصطفى، ١٩٨٦: ٤٢- ٥٤**).

إن التضامن عبارة عن علاقة تفاعلية تبادلية بين أفراد المجموعة الواحدة، يكون هدفها تحقيق المنفعة والمصلحة للجميع، وتقوم هذه العلاقة على الجهد المشترك على المستويين المادي والمعنوي وتقسيم للأدوار حتى يتحقق النجاح المنشود، ، فكل من التضامن والألفة الاجتماعية "تؤكد انتماء الأفراد للجماعة، وكذلك تحدد وضعياتهم داخل الجماعة" (**COURNIL N., 2001 : 370**)، فالعلاقة التفاعلية لابد وأن ترتكز على التضامن والتعاون ضمن علاقة تكاملية، بحيث يؤدي هؤلاء الأفراد أدوارهم بأقل قدر من التوتر والنزاع، حتى يتحقق تكيف الفرد مع مجتمعه عندما يشترك اشتراكا ايجابيا في أوجه نشاط هذا المجتمع.

ولقد طرح دوفينيو J. Duvignaud من جهته ثلاثة أنواع من التضامن: رابطة الدم والقرابة، التضامن الحضري، التجمعات العمالية. ويقصد بالتضامن الحضري "العلاقات التي تنشأ في المدينة باعتبار أنها ليست مجرد تجمع سكاني (كثافة سكانية)، هذه العلاقات مبنية على التعاون والتآزر" (**DUVIGNAUD J., 1986 :47**) فمسألة التضامن عند نفس الباحث هي عامل أساسي في العلاقات الاجتماعية يعتبرها "أشكال اجتماعية طبيعية"**(DUVIGNAUD J., 1986 :82)**.

وعليه نقصد بالتضامن الاجتماعي عملية التآزر والتعاون والمساعدة، سواء كانت مادية أو معنوية في مناسبات مختلفة ووضعيات متنوعة، وهو تضامن غير رسمي لا يمكن أن يتحقق التماسك الاجتماعي بدونه.

ثانيا: التنشئة الاجتماعية والتضامن الاجتماعي

تعد التنشئة الاجتماعية عملية تعلم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى إكساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تعرف على أنها "عملية التفاعل الاجتماعي التي يكتسب فيها الفرد شخصيته الاجتماعية التي تعكس ثقافة مجتمعه" (**الشناوي محمد حسن وآخرون، ٢٠٠١: ١٥**)، فالإنسان لا يولد اجتماعيا، بل يصير كذلك بفعل التنشئة الاجتماعية التي تمارسها عليه الأسرة والمجتمع وتنتقل إليه من خلال عمليتها ثقافة المجتمع وتمكنه من اكتساب دور أو مجموعة من الأدوار، بممارستها يندرج في المجتمع ويحتل مكانته فيه ككائن اجتماعي" (**حمداوي محمد، ٢٠٠٥: ١٠٨**)، وعليه فالتنشئة الاجتماعية تمكن الفرد من مسايرة مجتمعه والاندماج في الحياة الاجتماعية.

ويعرفها بارسونز على أنها "عملية تعليم تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهي عملية دمج عناصر الثقافة في نسق الشخصية وهي عملية مستمرة"(**الشناوي محمد حسن وآخرون،٢٠٠١: ١٦**) تبدأ بميلاد الفرد وتنتهي بنهاية حياته، وفي هذا الصدد يقول نوربرت إلياس N. Elias: "إن الفرد الصغير لا يكتسب اللغة إلا عندما يكبر في مجتمع الكبار، يضبط من خلالها الغرائز وتمكنه من اكتساب رؤية بعيدة المدى. إن اللغة التي سوف يتحدث بها ومخطط ضبط الغرائز التي سوف يتبعه، نموذج أو نمط ممارسات الكبار التي يطورها. كل ذلك يتوقف على تاريخ وبنية الجماعة الإنسانية التي يولد فيها، ويتوقف أيضا على تاريخه الخاص ووضعيته داخل هذه الجماعة"(**ELIAS N., 1991 :58**)، بمعنى أن اكتساب الفرد لكل الأنماط السلوكية المختلفة، اكتساب الأفكار والقيم والمعايير والانفعالات تناسب الأدوار والمكانة الاجتماعية التي يتقلدها هذا الفرد في مجتمعه؛ حيث يرتبط بكل مكانة نمط من السلوك المتوقع، فالذكر عل سبيل المثال له وضع اجتماعي يترتب عليه سلوكيات اجتماعية متوقعة بعكس الأنثى.

وللتنشئة الاجتماعية دور كبير في المحافظة على القيم الاجتماعية وعلى العادات والتقاليد، وبالتالي تعمل على المحافظة على قيمة التضامن الاجتماعي باعتباره أحد الأمور الملتصقة في ثقافتنا العربية الإسلامية، من أجل الحفاظ على التوازن الاجتماعي، والمحافظة على ديمومة واستمرار المجتمع.

ومن بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأسرة، فما يتعلمه الفرد فيها يبقى معه طول حياته، و"عن طريقها يكتسب الطفل قيمه الاجتماعية ومعاييره وسلوكه، فهي لذلك تعد الجماعة الأولية التي تكسب الناشئ الجديد خصائصه الأساسية، والتي تتصف بالارتباط والتعاون والتضامن والتآلف فيما بينهم" (**السيد عبد القادر شريف، ٢٠٠٢: ١٧**)، تعمل الأسرة على الحفاظ على المجتمع وعاداته وتقاليده، وتبقى هي الخلية الأساسية في بناء المجتمع، أين يكتسب الفرد أهم اتجاهاته النفسية والاجتماعية، وهي مصدر الأخلاق والرعاية الأولى لضبط السلوك. كما تعرف الأسرة على أنّها:" مسرح التفاعل الذي يتم فيه النمو والتعلم، والعالم الصغير للطفل الذي به تتكون خبراته عن الناس والأشياء والمواقف، كما يظل البيت حمى الطفل وملاذه الذي يلجأ إليه بلهفة وتعلق" (**الدسوقي كمال، ١٩٧٩: ٣٣٥**).

وقد استمدت عينة البحث قيمة التضامن الاجتماعي من الأسرة كأولى مؤسسة للتنشئة الاجتماعية ويعملون على تثبيتها في الأولاد، كما جاء على لسان إحدى ربات البيوت (٦٠ سنة، ابتدائي، ماكتة بالبيت): "تربينا على هاك شفنا والدينا، ونبقوا على هذه السيرة، مين يسحقنا الجار يلقانا بساح غير هاك نبعد خير"، فبالرغم من علاقات هذه الأسرة مع جيرانها سطحية إلا أنها تؤكد على قيمة التضامن الاجتماعي.

وما يزيد على تثبيت هذه القيمة دور العبادة والمسجد على وجه الخصوص؛ حيث يسعى هذا الأخير إلى تلقين القيم الاجتماعية والعمل على تقويم سلوك أفراد المجتمع وتدعيم قيم التضامن، وعلى ضرورة التعاون والتآزر والتكافل الاجتماعي كما يعمل المسجد باستمرار من خلال الخطب المنبرية أو الحلقات التي تقام داخله على تذكير الأفراد بقيمة التضامن ووجوبها في الإسلام. وهنا يظهر تأثير البعد الديني الذي يحث على التضامن والمساعدة، ما يبرز بوضوح في تصريح أحد السادة (٦٧ سنة، ابتدائي، متقاعد): " الله والرسول يوصينا هاك"، فقد لعب الدين دورا كبيرا في تماسك المجتمعات منذ بداية الخليقة، بما يشتمل من طقوس وممارسات وحدت الجماعة.

كما يساهم المسجد في خلق التضامن الاجتماعي داخل المجتمع المحلي بجمع المال أو الجهد من أجل مساعدة بعض المحتاجين، من خلال هذه الممارسة يدعوا إلى التعاون بين سكان الحي في السراء والضراء خاصة. إن هذا السياق الذي يمتثل لمتطلبات التعاون الجماعي يكون خدمة للصالح العام كما جاء على لسان إمام المسجد.

وتساهم وسائل الإعلام هي أيضا من خلال البرامج التي تبثها في إبراز قيمة التضامن الاجتماعي، فالفضائيات المتنوعة والهادفة، وخاصة الدينية منها تؤكد على هذه القيمة، وضرورة التعاون بين الجيران من أجل الحفاظ على استمرارية المجتمع وديمومته واستقراره.

ومما سبق ذكره ومن خلال التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها يبرز ضرورة التضامن بين الجيران القائم على التعاون وتبادل الخدمات، يفرض بإلحاح في الظروف العصيبة، ومن أجل مواجهة بعض المشاكل خاصة المشتركة منها.

ثالثا: الشعور بالانتماء للمجتمع المحلي وخلق التضامن الاجتماعي

يعد المجتمع في أبسط أشكاله مجموعة من الزمر تسكن مكانا محدودا تشعر بالوحدة والانتماء نظرا لأوجه الشبه العديدة في ثقافتهم والاتصالات الودية والمصالح المشتركة، وهذه الوحدة المشار إليها ليست شيئا جامدا بل مشاعر قوية تكون مانعا لأي تغيير طارئ مكونة نسق من العلاقات الاجتماعية، تهدف هذه الوحدة إلى أن تؤسس داخل كل عضوا من أعضاءها شعورا خاصا بالانتماء والاندماج كضرورة لبقاء هذه الوحدة واستمرارها. فالانتماء إلى مجتمع محلي يعني توفر الإحساس بالأمان والرضا والفخر والاعتزاز به، كما يعني أيضا اتجاها يستشعره الفرد من خلال اندماجه في جماعة، واعتباره جزءا مقبولا منها، وله مكانته المتميزة ووضعه الآمن بها.

إن الأفراد ينتظرون من الوسط الذي يقيمون فيه تلبية متطلباتهم ليضمن لهم العيش والاستقرار، ويجعلهم يشعرون بأنهم أعضاء ينتمون إلى الحي، وبالتالي إلى المجتمع الكلي، وعليه فإن التجهيزات بكل أنواعها والخدمات الاجتماعية الموجودة بالحي هي التي تسمح لنا بمعرفة مدى استقرار السكان ومدى رضاهم عنه، وإن لم تتوفر هذه العناصر ينتقلون إلى أحياء أخرى لتحقيق أهدافهم المفقودة بحيهم، يذكر عبد المالك صياد في هذا الصدد أن الساكن يشعر بالاغتراب والقهر عندما يعيش في مجال لم يساهم ولو بفكرة واحدة ولم يؤخذ برأيه، ويجد نفسه عاجزا أمام تغيير شيء في بيته كما يزداد اغترابه عندما لا يجد المرافق الاقتصادية والاجتماعية لتلبية حاجاته الضرورية، وبذلك تبقى هذه المساكن كما يسميها الباحثون مجرد مساكن للنوم .(Cf. SAYAD A., 1980 :11-27)

إن معظم أفراد العينة تقضي حاجاتها الغذائية من داخل حيها أو من مركز المدينة لأنه يتواجد على الكثير من المحلات التجارية، ومن السوق الأسبوعي –الذي يقام كل سبت– لما يتوفر على كل أنواع التجارة. وبالتالي تسد المدينة حاجات سكانها، ما يبين رضاهم عن الحي ويعزز انتمائهم إليه، كما يظهر في الاستشهاد ربة أسرة (٥٦سنة، أمية، ماكتة بالبيت): "الحمد لله la cité تاعنا فيها كلشي قاع لي تحوسي عليها. وزيدي راهم راحمنا بهذاك السوق [وتقصد السوق الأسبوعي] تخيري على غرضك وكلشي فيه"

ويلعب مكان العمل دور كبير في تنمية الشعور بالانتماء إلى المجتمع المحلي، وتقوية الروابط الاجتماعية، ومن خلال المعاينة الميدانية اتضح أن جلّ أفراد أسر العينة تعمل داخل مدينة التي تسكنها.

يبرز مفهوم الانتماء وشعور به جليا من خلال مفهوم "حومتي"، يقول العربي إشبودن: "الحومة هي مجال مشيّد مفصل ومشغول، يخضع لعلاقة الفضاء الاجتماعي socio –spatial عن السكان الذين ينحدرون من نفس الأصل الجغرافي. حسب وضعياتهم داخل المدينة، لكل من هذه الحومات مسجدا خاصا بها، حرفها دكاكينها وسوق يميزها (...) المدني كان يعرف كذلك من خلال مسكنه والحي الذي يسكنه، الحومة كانت كذلك الخلية الحيوية للاندماج الاجتماعي لساكن المدينة" (**ICHEBOUDENE L., 1998 : 19**)، فالاندماج إذن يعد مقياس لقوة الروابط الاجتماعية، ويعبر دوجولوجاكس عن انحلال الروابط الاجتماعية باللااندماج (**ذكر في: حمدوش رشيد، ٢٠٠٩: ٥٣**)، وهنا نطرح مفهوم الاندماج الحضري الذي يخص عملية اندماج الأفراد والجماعات داخل المدينة أو الحي السكني، جراء هجرة من مجال مختلف تماما عن المجال الجديد، وإن "التكيف في الحياة الحضرية يتطلب من الريفي التخلي عن عاداته وتقاليده، وأن يتبنى عادات وتقاليد الحياة الحضرية الجديدة" (**BOUKHABZA M., 1989 :226**). ولا يتحقق التكيف الكلي به إلا بمرور فترة زمنية معينة، ففي بداية إقامة الساكن يعرف نوع من العزلة والهامشية اتجاه وسطه الجديد من الناحية الاجتماعية وكذلك المجالية " لأن الاندماج بالمجال الفيزيقي للمهاجرين يمكن أن يلقي صعوبات ورفض لدى البعض منهم لاختلافه عن المجال القديم خاصة إذا لم يساهموا في إنجاز هذا المجال ليكون المسكن معبرا عن نمط حياة مخالفة لنمط حياتهم، ويصبح عائقا لهم في الحياة الجديدة لأنه لا يتماشى

مع حاجياتهم ورغباتهم"(**CHOMBART DE LAUWE P.H.,1982 :43**) مما يجعلهم يقومون بتغيرات على طبيعة هذه المساكن تماشيا وعاداتهم وسلوكاتهم.

وفي دراسة أخرى (Cf. BENATIA F., 1980) طرح الباحث فاروق بن عطية بعض المحاور لتوضيح ظاهرة الاندماج الحضري في مدينة الجزائر وفق النقاط التالية: (**BENATIA F., 1980: 321**)

*درجة الاندماج الحضري نسبية بالنسبة للمستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الخاصة بكل فرد والجماعة التي ينتمي إليها.

*يظهر الاندماج الحضري وينمو وفق مسيرة بطيئة تعد بالأجيال ولا يتحقق الاندماج بشكل تام عند جيل واحد فقط.

*يتحقق الاندماج عبر مراحل وعبر علاقات مصلحية، وهذا عن طريق الارتباطات الزواجية، وعلاقات الجوار الجديدة، ومختلف العلاقات الاجتماعية الأخرى (أفراح، ممارسات دينية، مواسم...) وعلاقات داخل الوسط المهني وغيرها.

ومن المقاربة الميدانية اتضح أن أفراد العينة تعودوا على نمط الحياة الذي يفرضه هذا الحي، وبالتالي لا يستطيعون الانتقال بحكم التمسك الروحي بهذا الحي، وما يحملونه من ذكريات، فمدة السكن تلعب دور كبير في هذا التعود كما يظهر في تصريح إحدى الفتيات (٣٥ سنة، ليسانس، كاتبة بالبلدية) –من الأسرة رقم ٠٣ (أنظر الجدول رقم ٠١)–: "ما نتخيلش روحي في بلاصة غير هذه على خاتر الجوارين هاذوا نعرفوهم. كاين les moyens باش نرحلوا بصاح مقديناش"، ارتباط هذه الأسرة بهذا المجتمع المحلي جعلها لا تستطيع تغيير مسكنها بحكم المدة الطويلة لسكنها (٣٢ سنة) وتعودها على الجيران. من التصريحات أيضا ما قالت سيدة أسرة (٤٨ سنة، أمية، ماكثة بالبيت): "ما نحمش نبدل جواريني. تبالي صعيبة. تعاودي تبدلي حياة؟! ديري فيها confiance ودخليها للدارك؟!" ومن خلال عبارات وجهها تجيب عن هذا التساؤل التعجبي بلا. وقد يعد حميمية الفضاء لارتباطه بالطفولة سببا في خلق الشعور بالانتماء له، تقول إحدى الكنات (١٩ سنة، ٩ أساسي، ماكثة بالبيت) –من الأسرة رقم ١٢ (أنظر الجدول رقم ٠١)–: "كبرنا وقرينا وتزوجنا في هذه la cité. مانخرجش منها"، ويعتبر قرب الأهل مؤشرا للاستقرار داخل الحي كما جاء على لسان سيدة أسرة (٤٨ سنة، ٣ ثانوي،

معلمة بالحي): "Je me sens à l'aise ici مع 'مَا' تسكن في الباطيمات، منيش مغبونة"، ما يشكل بالنسبة إليها راحة نفسية، أدت إلى زيادة الشعور بالانتماء للحي.

أما الفئة التي لا تجد راحتها في الحي قليلة فهي من السكان الذين مازالوا ملتصقين روحيا بمدينتهم الأصلية وما تعنيه لهم من قيم وتشبع بالمبادئ الاجتماعية تضايقوا من كل التغيرات الحاصلة، وانتشار الآفات الاجتماعية بالحي كالسرقة المخدرات، والجريمة. حيث أصبح هذا الحي بؤرة لمداراة هذه الأعمال، مما ينشىء عنه معاناة وصراع نفسي بين الحنين إلى القديم الذي كانوا يعيشون فيه والجديد الذي جاؤوا إليه، تقول إحدى الفتيات (٢٥ سنة، جامعية، مهندسة بمكتب خاص –من الأسرة رقم ١٠ (أنظر الجدول رقم ٠١)–: "بويا خترات وين يوقف مع الجوارين، بساح حنا خاطينا وخاطيهم. رانا خارج مجال التغطية. حتى خوتي من الخدمة ولا القرايا للدار. معلابالهمش شراه صاري، كلي مراناش قاع في أرزيو"، وهذا دليل على عدم الاندماج ورفض هذا المجتمع المحلي وارتباط هذه الأسرة مع المنطقة الأصلية (تيارت)؛ وواصلت والدة هذه الفتاة (٦٠ سنة، أمية، ماكثة بالبيت) بقولها: "مانيش حابة قاع نقعد هنا. راني لاقيا الوحدة. باغي نولي للبلاد مع خوتي وأهلي"، وصرح أحد الآباء (٤٧ سنة، ٩ أساسي، سائق بسوناطراك): "مكان حالة. لكان نصيب نرحل منا"، فالاندماج داخل الحي يقلص من الشعور بالانتماء إليه وبالتالي رغبة في تغيير المسكن.

وتتحدد مسألة الانتماء والاندماج الاجتماعي بالمدة التي يقضيها السكان بالوسط الجديد، بداية لا يمكنهم التكيف مع الظروف الجديدة، ويجدون صعوبة كبيرة في العيش، لكن شيأ فشيأ ينجلي هذا التوتر وتدريجيا يندمجون به خاصة إذا توفر لهم الاستقرار الكامل– المتمثل في العمل والسكن–، وتم إشباع حاجاتهم المادية والروحية، فما يتوفره الحي من مستلزمات وتجهيزات تزيد من الاندماج ويتكون شيء فشيأ الشعور بالانتماء، خاصة إذا أحسوا بالأمان والراحة النفسية، ما يجعلهم غير راغبين بتغيير السكن، فكلما طالت مدة الإقامة قلت الرغبة في العودة إلى المنطقة الأصلية هذا ما يجسد اندماجهم اقتصاديا داخل المدينة من خلال العمل وكذا مختلف النشاطات المهنية لهم بالمدينة.

وعليه هناك فئة يشعرون بالفخر لانتمائهم للحي هم السكان القدامى لهذا الحي، أما بالنسبة للفئة التي لا تشعر بالفخر لانتمائها للحي، فهي تمثل الفئة المهاجرة أو الساكنين الجدد التي ترى أن الحي متخلف لا يتماشى وتطورات العصر،

فهي تخجل من انتمائها إليه، لكن الظروف هي التي أجبرتها على الإقامة به، بمعنى فئة استطاعت الاندماج داخل الحي والمدينة بشكل عام، وفئة قليلة ترغب في الرجوع إلى المنطقة الأصلية.

رابعا: أشكال التضامن بين الجيران ومناسباته

يعتبر التضامن واجب مقدس لدى أفراد العينة، مما يؤكد وجود بعض المعايير والقيم الاجتماعية، وقواعد السلوك داخل هذا المجتمع، الذي يحث الأفراد على التعاون والتضامن بين الجيران، فبالرغم من سطحية العلاقات بينهم إلا أننا لاحظنا وجود درجة عالية من التضامن بين السكان، خاصة في الحالات الاضطرارية والعصيبة، كما يمكن ملامسة الروابط الاجتماعية من خلال التضامن الذي قد ينشأ بين الجيران لمواجهة احتياجاتهم ومشاكلهم المشتركة. سنحاول في هذا العنصر التركيز على شكلين من التضامن، اللذان يبرزان بشكل جلي وهما: التضامن في الجنائز، والتضامن في المناسبات الدينية خاصة عيد الأضحى. نعرج أيضا على أشكال أخرى للتضامن، كل منها مرتبطة بفترة زمنية معينة.

١. التضامن في الجنائز

إذا كانت مناسبات الأفراح تكون بالدعوة "العرضة" في معظمها، فإن مناسبات الأحزان تعد واجبا، وتعتبر هذه المناسبات صورة حية من صور التضامن الاجتماعي، وتتمثل خاصة في عيادة المريض والمشاركة في العزاء، كما يبدو في تصريح سيد أسرة (٣٠ سنة، أمية، ماكثة بالبيت): "Surtout في الغبينة كيما الموت ولا المرض نوقفوا فيها تاع الصح". وتعد حالات الموت والجنائز فرصة لفض المنازعات والخصومات بين الجيران إلا في حالات قليلة، تقول سيدة أسرة (٥٤ سنة، ثالثة ثانوي، موظفة إدارية): "يصرا هذاك mal entendu بصاح في حاجة الغبينة et surtout الموت. هذيك la relation تعود تولي". وبمجرد أن تحدث وفاة في الحي يستعد الجيران لتجهيز الجنازة والتضامن مع الأسرة المصابة ماديا ومعنويا، ففي الجانب المادي يتكفل الجيران بنفقات الجنازة وإطعام المعوزين، ويحرصون على جمع الأموال فيما بينهم لمنحها للأرملة المتوفي زوجها خاصة، بغية مساعدتهم على تجاوز المنحة الأليمة، فتتآلف القلوب وتتراحم الأفئدة تضامنا وتكافلا بين الناس والأهل

وفاعلي الخير، أما من الناحية المعنوية، فيكون التضامن بالحضور ومواساة العائلة المصابة للتخفيف عن مصابها، وهذا ما نلمسه في التصريحات العديدة التي تؤكد ذلك، ومنها:

تصريح أحد الأبناء (٣٥ سنة، ٩ أساسي، حارس) –من الأسرة رقم ٠٣ (أنظر الجدول رقم ٠١)–: "نوقفوا مع بعضانا في حاجة الغبينة. يدخلوا يعاونوك. يحلوا ديارهم. حنا مين توفى الشيباني التاعي لقينا الجوارين. عاونونا بزاف. ما يجو يوصلوا الفاميليا (la famille) الجوارين يسبقوا. الحق ينصابوا في الفرح والقرح"، واستشهاد سيدة أسرة (٧٦ سنة، ابتدائي، ماكثة بالبيت): "كل واحد لاهي في روحه، بساح كاش موت قاع يوقفوا، نطعموا. عشرة جوارين تاع البلوك يطعموا اليوم، وعشرة تاع البلوك لاخر يطعموا غدوة، وعشرة آخرين يوكلوا منغد. متفاهمين (...) الرجال يجيبوا القيطون والسوالح. يوقفوا الحق" وقول إحدى البنات (٣٥ سنة، ٨أساسين ماكثة بالبيت) –من الأسرة رقم ١٧ (أنظر الجدول رقم ٠١)–: "الحق الجوارين قاع عاونونا من مات بويا، كلشي داروه الجوارين، المواعيد برا، حلو ديارهم، الحق قاع وقفوا. استقبلوا الناس"، وتصريح سيد أسرة (٥٧ سنة، ابتدائي، سائق أجرة): "مين تكون غبينة يرفدوا بعضاهم. نرفدوا بعضانا بزاف هنا. كيما مين ماتت جارتنا. الجوارين هما لي قاموا بالجنازة"

وقد لاحظنا ذلك بالفعل من خلال المعاينة الميدانية في حالة وفاة عجوزة بالحي مدى التفاف الجيران وتضامنهم وكأن كل واحد منهم يعرف دوره، وما يجب فعله، فمنذ الساعات الأولى شيّد القيطون (الخيمة) وتكفل أحد الجيران بإحضار صهريج الماء من البلدية وآخر بالكراسي، مع تقديم العزاء الذي يعتبر واجبا لا بد منه حتى لو كانوا على خصام فهو فرصة لفضه، فتختفي كل الفوارق الطبقية والخصومات، نفس الأمر نقوله على النساء، حيث تتهافت منذ سماعها خبر الوفاة على الأسرة المصابة لتقديم العزاء ومساعدتها في التحضير الفضاء للعزاء، فتقوم بإمدادها بكل ما تحتاج من أفرشة وأواني وطاولات وغيرها، بالإضافة إلى تهافت الجميع لإعداد الطعام ليلة الوفاة؛ حيث لا يسمح للأسرة المصابة بإعداد الطعام في تلك الليلة. ونلمس التضامن في الجنائز أيضا من خلال المشاركة الجماعية في توفير كل مستلزمات العزاء ومراسيم الدفن.

٢. التضامن في المناسبات الدينية

تعتبر المناسبات والاحتفالات والأعياد الدينية فرصة للتواصل الاجتماعي، فهي مناسبات لتجديد الروابط الاجتماعية وتعزيزها، فإلى جانب أنها من أهم المحطات التي يتوقف عندها المسلمون للذكر والعبادة وتقوية إيمانهم، فإن في إحيائها يتشكل التضامن والتكافل الاجتماعي.

إنّ الاهتمام بالاحتفال بهذه المناسبات يعتبر في مجتمعنا من القيم الثابتة للحياة الاجتماعية، وهو واجب متعارف عليه في التقاليد والعادات وقيم وأعراف المجتمع، ومرتبط بالمرجعية دينية فالاحتفالية فرصة للالتقاء والتقارب والتماسك الاجتماعي وهو فرصة لإثبات الذات الجماعية وإثبات الهوية الثقافية، فالذي يهمنا هنا ليس الاحتفال في حد ذاته من تحضيرات مادية ومعنوية (طبخ خاص وألبسة وغيرها)، بل المهم هو دوره في إحداث التقاربات الاجتماعية، وكيف تساهم الأسر في جلب الهدايا ومساهمتها المادية والمعنوية.

تعد هذه المناسبات عاملا لتقوية الروابط الاجتماعية وشد الأواصر بين الجيران، ومجالا للالتقاء والتواصل، وهنا أشار عبد الرزاق أمقران إلى أن "الالتقاء الظرفي الذي تفرضه المناسبات الدينية والعطل الرسمية على مختلف الشرائح والفئات الاجتماعية يمكن أن يتحول إلى التقاء دائم يجسد التعايش بين الفئات الاجتماعية في فضاء فيزيقي مشترك لكن مع احتفاظ كل فئة بخصائصها الثقافية وطقوسها الاجتماعية" (**أمقران عبد الرزاق، ٢٠٠٩: ١٤٣.**) ، إن كل هذه الممارسات الطقوسية من شأنها خلق التماسك الاجتماعي بين الجيران.

لقد أدت التحولات الاجتماعية إلى تغيير الاحتفال بهذه المناسبات وأصبحت أكثر فردية، وكل أسرة تحتفل بمفردها دون مشاركة الجيران معها، فما كان يعرفه رمضان من تآزر وتضامن وتبادل للأطعمة والمأكولات، وما كان يميزه من سهرات تجمع الجيران، يكاد يندثر على حد تعبير مبحوثينا، أما فيما يخص عيد الفطر فلا وجود للتضامن فيه، يعد مناسبة للتواصل بتهنئة العيد، وفي تبادل لأطباق الحلوى.

يبرز التضامن بشكل جلي في عيد الأضحى، أو كما يعرف عند العامة بالعيد الكبير، لأن فيه يبدأ السؤال عن المحتاجين وتقديم جزء من الشاة المذبوحة أو تقديم قطع اللحم لمن لم يستطيعوا شراء أضحية العيد، "هذه المناسبة تكشف

بامتياز على أنها فترة لتقارب وتطابق العائلة في علاقاتها مع محيطها الاجتماعي" (BRISEBARRE A. M. et autre, 1998 :88)، فكما جاء على لسان سيد أسرة (٥٧ سنة، شهادة البكالوريا، متقاعد): "قاع لي مايدبحش نعطوله اللحم، وهذا كيما قالنا ديننا، الثلث ناكلوه، والثلث نتصدقوا به، والثلث للأحباب والأقارب. بساح كاين لي عنده وما يدبحش. هذاك بناه وبين خالقه"، بمعنى أن تقديم اللحم لكل من لم ينحر شاة، حتى لو كان ذا مستوى معيشي مرتفع، وهذا تقيدا لأحكام الشريعة الإسلامية، فالدين من جهة أخرى يفرض نفسه، ويخلق نوع من التضامن الاجتماعي.

٣. أشكال أخرى للتضامن الجواري

نعني بالتضامن الجواري الذي يكون بين الجيران لحل مشاكل الحي، والاشتراك في المواقف العامة، لانجاز عمل ما لتحقيق هدف مشترك، فباعتبار أن سكان الحي يعيشون نفس المشاكل كالأمن وغيرها هم يتعاونون لتصليح شؤون العمارة، أو المتعلقة بالطرق، ويتضمن التضامن أيضا المشاركة في تنظيف العمارة أو الحي.

إن ما يؤدي إلى تضامن أعضاء مجتمع محلي ما أو جماعة اجتماعية هو المصالح والأهداف المشتركة، التي من شأنها تقوية الروابط بين الجيران. ويتعدى هذا التضامن بإعانة الأسر المحتاجة، يقول سيد أسرة (٦٢ سنة، ثالثة ثانوي،متقاعد): "كاين جارنا عمي ميلود قليق (فقير) ما عندهش. قاع نعاونوه ودايريله قوفة كل شهر توصله. الحمد لله رانا متفاهمين في هذا الأمر"، نفس الطرح نجده في اسشهاد سيدة أسرة (٤٧ سنة، ٩ أساسي، ماكثة بالبيت): "واحدة جارتنا كان مستواها المادي مليح. ومبعد راجلها حبس الخدمة. جوارين ولاو يعاونوها. ودروك راجلها ولى يخدم. يليق نرفدوا بعضانا، اليوم أنت وغدوا أنا"، ويظهر قول رب أسرة (٥٧ سنة، ابتدائي، سائق أجرة): "نتلاقوا خترات حنا الرجال ونقولوا هذا شاعنده ونشوفوا كي نعاونوه (...) نتعاونوا في الدراهم ولا بالطعام. مازالت العادات والتقاليد تاع بكري". وهذا دليل على تضامن جواري آخر، يتلخص في التكافل الاجتماعي.

وتتعدى أشكال التضامن الجانب المادي لتشمل أيضا الجانب الروحي والمعنوي، إذ لا يقتصر التعاون بالمساهمة بالمال والعمل في الأفراح والأحزان، بل تتعداه إلى المشاركة بالعواطف في حالة السرور والتخفيف من التوتر النفسي في حال القلق،

والمواساة في الأحزان، وقد جاء على لسان إحدى ربات البيوت (٣٩ سنة، متوسط، ماكثة بالبيت): "نكون باغي نطردك نهدر مع جارتي تريحني بلا مانحكيلها شاكاين" فالجيرة تعمل على التخفيف من حدة التوتر والقلق الذي ينتاب الإنسان جراء المشاكل والهموم اليومية، وهذا شكل من أشكال التضامن بالعواطف.

يظهر التضامن الاجتماعي بشكل جلي عند التعرض لمشكلة أو مصيبة أو كارثة ما، ويعتبر تضامنا آليا بامتياز، وهذا ما لاحظناه في تكاثف الجيران والمساعدات والإعانات التي قدموها إلى أسرة تعرض سكنها للاحتراق، فقد ساهموا بتنظيف المسكن من مخلفات الحريق، وساهموا في إمدادها بالأثاث والأجهزة الكهرومنزلية والأفرشة والأواني وغيرها، كل حسب طاقته، حتى صار هذا المسكن جديدا مجهزا بكل التجهيزات الضرورية، ناهيك عن الإعانة المعنوية للتخفيف النفسي من حدة الكارثة.

وعلاوة على ذلك يتضمن التضامن علاقات التبادل، والتي يشرحها منطق الهبة (**RIGAUX N., 2012 : 170**) الخاضع لثلاث أزمنة وهي: الإعطاء، الأخذ والرد. فيما يخص الإعطاء فهو ضروري ويعبر في مخيال الأفراد على أنه واجب وأساسي، الإعطاء يقابله الأخذ فلا يمكن الرفض ما يعطى، لكن مع ضرورة الرد، الرد بمثلها أو أحسن منها، "وهذا ما يشكل خطرا للذين لا يرجعون الهبة أو يرجعونها بطريقة غير مناسبة لا تتوافق مع الهبة التي أعطيت في البداية" (**RIGAUX N., 2012 : 170**)، وهذا ما يخلق المنافسة فالفائدة ليست مادية بقدر ما هي فرصة للظهور تعبر عن شرف ومكانة الأسرة وسلطتها، ما يبدو في تصريحات أغلب المبحوثين: "عاونتني نعاونها" "وقفت معيا جا دوري نوقف معها".

–خاتمة

إن الروح التعاونية التضامنية بين الجيران ما تزال سائدة، وسكان الحي في سعي دائم للمحافظة عليها، باعتبارها أساسا لاستمرار علاقات الجيرة، ويكون هذا التعاون ماديا أو معنويا كلما ادعت الضرورة لذلك حتى إن لم توجد رغبة في الاختلاط بالجيران. ورغم التطورات الحضرية فهي ما تزال سائدة حتى الآن، وما يزيد في استمرارها وقوتها هي المدة الزمنية التي عاش فيها

سكان الحي بجوار بعضهم البعض. وعليه فرغم التغيير الحاصل على مستوى المدينة والأفراد، فسكان هذا الحي لا يزالون محافظين على الكثير من الخصوصيات والقيم بما فيها قيمة التضامن.

***المراجع :**

١. أمقران عبد الرزاق (٢٠٠٩)، في سوسيولوجيا المجتمع: دراسات في علم الاجتماع، ط١، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر.

٢. حمداوي محمد (٢٠٠٥)، البنيات الأسرية ومتطلبات الوظيفية في منطقة بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين (قرى العزايل نموذجا)، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة في علم الاجتماع، جامعة وهران

٣. حمدوش رشيد (٢٠٠٩)، مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر: امتدادية أم قطيعة؟ (دراسة ميدانية لمدينة الجزائر نموذجا)، دار هومة، الجزائر.

٤. الدسوقي كمال (١٩٧٩)، النمو التربوي للطفل والمراهق، دار النهضة العربية، بيروت.

٥. زايد مصطفى (١٩٨٦)، "التعلم في الجزائر: المؤسسة الرسمية وإعادة تكون البنية الاجتماعية"، من مجلة علم الاجتماع: التغيرات الاجتماعية في الجزائر منذ الاستقلال (أعمال الملتقى الوطني لعلم الاجتماع الجزائر ٢٨-٢٩-٣٠ أفريل ١٩٨٦، العدد ٠٣، جامعة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

٦. السيد عبد القادر شريف (٢٠٠٢)، التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، ط٢، دار الفكر العربي.

٧. الشناوي محمد حسن وآخرون (٢٠٠١)، التنشئة الاجتماعية للطفل، ط١، دار الصفاء، للنشر والتوزيع، عمان.

٨. BENATIA F., (1980) Alger : agrégat ou cité. L'intégration citadine a Alger, SNED, Reghaia, Alger.

٩. BOUKHABZA M., (1989) Ruptures et transformations sociales en Algérie, Volume 1, OPU, Alger.

١٠. BRISEBARRE A. M. et autre (1998), La fête du mouton : Une sacrifice musulman dans l'espace urbain, CNRS édition, Paris.

١١. CHOMBART DE LAUWE P.H. (1982), La fin des villes, Calmann Lévy, Paris.

١٢. COURNIL N., (2001) « Les solidarité du maquis : Approche anthropologique des formes d'entraide », In : GUILLAUME P. (Sous la direction), Les solidarités : Le lien dans tous ses états, Maison des Sciences de l'homme d'aquitaine, France.
١٣. DUVIGNAUD J., (1986) La solidarité, Fayard, Paris.
١٤. ELIAS N., (1991) La société des individus, Traduit de l'allemand par Jeanne Étoré, Fayard, Paris.
١٥. ICHEBOUDENE L., (1998) « l'intégration citadine : à propos de la difficulté d'être algérois », In : ouvrage collectif, La ville dans touts ses états, CASBAH, Alger.
١٦. RIGAUX N., (2012) Introduction à la sociologie par sept grands auteurs, 2ème éditions revue et augmentée, De Boeck, Bruxelles.
١٧. SAYAD A., (Octobre- Novembre 1980) « Les effets naturels du relogement », In : Revue des sciences sociales. Panorama, N°4 -5, ONRS. Alger.

الهوامش: الجدول رقم (٠١): الخصائص السوسيوثقافية لعينة الدراسة

الرقم	الأقدمية في المسكن	السن (سنة)		المستوى التعليمي		المهنة	
		الأب	الأم	الأب	الأم	الأب	الأم
٠١	٣١ سنة	–	٦٠	–	ابتدائي	–	ماكثة بالبيت
٠٢	٢٥ سنة	٦٢	٥٤	ثانوي	ثانوي	متقاعد	موظفة إدارية
٠٣	٣٢ سنة	–	٥٦	–	أمية	–	ماكثة بالبيت
٠٤	٨ سنوات	–	٧٤	–	أمية	–	ماكثة بالبيت
٠٥	٢٥ سنة	–	٧٦	–	ابتدائي	–	ماكثة بالبيت
٠٦	٥ سنوات	٥٠	٤٨	أساسي	أمية	سباك بشركة حكومية	ماكثة بالبيت
٠٧	١٥ سنة	٦٠	٤٧	جامعي	أساسي	متقاعد	ماكثة بالبيت
٠٨	٢٣ سنة	٥٤	٣٩	ابتدائي	أساسي	عون صيانة	ماكثة بالبيت
٠٩	٣١ سنة	٦٧	٦٣	ابتدائي	أمية	متقاعد	ماكثة بالبيت
١٠	٧ سنوات	٧٥	٦٠	أمي	أمية	متقاعد	ماكثة بالبيت
١١	سنة	٤٧	٤٦	بكالوريا	أمية	موظف	ماكثة بالبيت
١٢	٨ سنوات	٤٨	٤٧	ابتدائي	ثانوي	نجار	متقاعدة
١٣	٥ سنوات	٥٧	٥٣	ابتدائي	أساسي	سائق أجرة	معلمة متقاعدة
١٤	١١ سنة	٤٧	٣٨	أساسي	أساسي	سائق	ماكثة بالبيت
١٥	٨ سنوات	٤٨	٤٨	أساسي	ثانوي	بناء	معلمة
١٦	١٠ سنوات	٣٨	٣٠	أمي	أمية	بناء	ماكثة بالبيت
١٧	١١ سنة	–	٧٧	–	أمية	–	ماكثة بالبيت